المساهمة والشركة في مصر

لمناسبة ذكرى وفاة « طلعت حرب »

للأستاذ عبد الله حسين

في يوم الخميس ١٣ أغسطس احتُفل بالذكرى الأولى لوفاة الزعيم الاقتصادي الكبير المغفور له محمد طلعت حرب باشا ، المؤسس الأول لبنك مصر وشركاته المساهمة المعروفة . ولقد كان مما يتفق وطبائع الأمور ، أن يعرض المحتفلون بهذه الذكرى ، والمعزون والجماهير التي عرفت « طلعت » ، أو استمعت إلى أحاديثه وخطبه ، أو وقفت على آثاره وأعماله وتصرفاته ، إلى بنك مصر وشركاته ، وما يتصل بها من خطط ، وما تعرضت له من أزمات ؛ وكان من الطبيعي أيضاً أن يكون للفقيد — شأن كل عظيم وعصامي ومبرز — الأصدقاء والحساد والأعداء ... والخصومة للعظيم — وخاصة لمن بلغ منزلة « طلعت » — لا تنقص من مكانته ، بل لعلها تزيده منزلة ، وتُجلّي على الأيام فضائله وشمائله . ذلك أن النقد وحده هو الذي يستطيع أن يكشف عن اللؤلؤة الصحيحة من دفائن المعادن

لست أريد أن أتناول هنا ترجمة حياة الفقيد ، ولا أن أقوم ببحث في شؤون الشركات الوطنية ؛ وإنما حسبي أن أعرض لأشياء تحدث بها أناس منذ أعوام ثلاثة ، وكان من وراء هذه الأحاديث ذلك القانون الذي صدر في العام الماضي يدعم بنك مصر وتقوية الروابط بينه وبين الحكومة

كانت هذه الأشياء من المسائل التي بالغ حساد « طلعت » وخصومه في الخفض من مكانته ، والنيل من شأوه ، وفاتهم بادئ ذي بدء ، أن « طلعت » كان رجلاً ، وكان مجرباً ، وكان بادئاً ، وكان بشراً ، وكان يعمل في بيئة لم تُتمهد من قبل ... كل هذا قمين أن يدعو إلى شيء من الخطأ والتراخي والتشاؤم . ولقد كنت أشفق من هذه الأشياء ، وكنت أخشى أن تعدو من جرائها العوادي على البلاد والمشروعات الوطنية

غير أنني بعد أن هدأت العاصفة ، وقضى « طلعت » ، راجعت نفسي ، وشئت أن أكون في منزلة القاضي ، يفصل بالحق ، ويورد في حيثيات حكمه الأسباب التي يتألف منها اعتقاده ، والمقدمات التي انتهت إلى رأيه

أراد « طلعت » — حين فكر وحين مضى يحقق ما فكر فيه — أن يستمين في مشروعه بالعناصر التالية :

١ — « الأعيان » : للافادة من أموالهم في الاكتتاب برأس المال ، ثم يجذبهم إلى نقل مودعاتهم من البنوك الأجنبية إلى البنك الوليد

٢ — « الحكومة » : بوزاراتها ووزرائها وكبار موظفيها . لكي تكون يداً مع المشروع وما تفرع عنه من الشركات ، وذلك بأن تودع أموالها البنك ، وبأن توصي بتفضيل منتجات شركاته وما إلى ذلك من مزايا

٣ — « الصحافة » : للدعوة والدعاية والتخفف من المهاجمة أو النقد ، إذ أن المشروع جديد ومالي يتأثر بالنقد السريع

٤ — بالجمهور — عامة ، وخاصة — الطلبة والشباب :

فإذا كان قد حدثت أشياء غير صالحة ، فإن منجم ذلك هو العيوب التي نشهدها في تصرفات الأعيان والحكومات والمصالح الأميرية وبعض الصحافة والجمهور . ذلك أن كل عنصر من هذه العناصر ، حسب أن له حقاً على طلعت أو على البنك ، بأن يترخص وأن يتسامح فيما لا يجوز الترخص والتسامح فيه . فإذا وقف طلعت موقف الحزم ، غضب طلاب المنفعة ؛ وإذا تسامح — وهذا ما كان يؤثر طلعت دفعاً للكيد — استتبع هذا ألواناً أخرى من التسامح ، بالاستزادة من الأقراض والتراخي في الأداء . والرجل يريد أن يرضي جميع الحكومات خشية أن يقال إنه حزبي ، على حين أن مشروعاته مستقلة وواجب أن تكون مستقلة عن الأحزاب السياسية والتجارية والشخصية .

وعندي أنه إذا شئنا أن نتقي ما حدث من الأزمات والأخطاء ، أن نمضي قدماً في علاج شئوننا ، فنعرف أين يبدأ حقنا وأين ينتهي عند حق غيرنا من بنك أو شركة أو مساهمة أو مصلحة عامة . علينا أن نفرق بين منافعنا الخاصة وبين المصالح العامة . بل علينا أن نعرف كيف نضحي منافعنا الخاصة لتصلح شئوننا العامة . فالمجاملة والتسامح (سياسة معلهش) والتراخي والاستغلال الحقير للنفوذ هذا كله مرجع العيوب في مشروعاتنا ومساهماتنا وشركاتنا . فإن أصلحنا ، صلحت أداتنا المالية والاقتصادية ، وأدركنا أن الداء فينا وعلاجه بين ظهرانينا ، وأنصفنا الموتى من الأحياء

عبد الله حسين